راهب الليل

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت ص.ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١١١ - برقيا داشروق
تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - برقيا شروق
تلكس 93091 SHROK UN

هـذه المجموعـة سجل للحظات العمر الدابر ، فيهـا شيء من شعـر الشباب وأمشـاج من شعر الكهـولة والشيخـوخـة . فاذا وجدت فيها شيئاً من التباين فمن هنا يأتي التباين .

مُقَدّمَة

أَطَلْتُ في ليلِهــا قـيــامي   وعشتُ في ضَجَّةِ الصُّمُوتْ
وضَلَّ رَكْبُ الوَرَى أمـامي   فــلا ثَـبــاتٌ ولا ثُـبُــوتْ
وكنتُ أخشى من الكـلامِ   فصرتُ أخشىٰ من السُّكوُتْ

ط. ا.

سبتمبر ١٩٨٠

راهِبُ اللَّيْل

عـاشِقُ الـرُّوحِ مستهـامْ   ضَـمَّـهُ الـليـلُ والأَلَـمْ
كُلَّمـا استقبـلَ الـسُّهـامْ   غـالطَ الـدمـعَ وَابْتَسَـمْ

راهبُ الليلِ لا ينامْ والجَوى عنه لم ينمْ
عاشِقُ الروحِ مُستهامْ ضَمَّهُ الليلُ والألمْ
كُلَّما استقبلَ السِّهامْ غالَطَ الدمعَ وَابْتَسَمْ

هكذا نحنُ في القِمَمْ
نَصْنعُ الخُلْدَ والقِيَمْ

إنما الحبُّ كبرياءْ تَصِلُ الأرضَ بالسَّماءْ

هاتِ ياليلُ ما تشاءْ

سَتَراناً مع الصباحْ عندما يُقْبِلُ الصباحْ

قد كَبِرْنَا على الجِراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ

هَــمَسَ الــوردُ لــلريــاحْ   وهــي تَــذْرُوهُ لــلرَّغــامْ
قــال هـل يُسْكِتُ النُّــواحْ   صيحــةَ الحبِّ والســلامْ
أو تُـــرَى يَنْتَهِي الـصبــاحْ   أو تُــرَى يَـخْـلُدُ الـظلامْ
وأرَى الشمسَ مِنْ بَعِيدْ
تَنْشُرُ الصُّبْحَ مِنْ جديدْ
فَيُغَــنِّي لــه الــوُجُــودْ   فَــرْحَــةَ الـحبِّ والـخُلودْ
وهو يَحْنُو على الوُرُودْ
واذا مــا أتى الـصَّبــاحْ   سيــرانــا مــع الصَّبــاحْ
قد كَبِرْنَا على الجِراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ
لا تَقُـلْ طـالَتِ الشُّجـونْ   نحنُ أَقْــوَى مِـنَ الشَّـجَنْ
كــلُّ مـا كــانَ أو يكـونْ   هَــانَ إِنْ نـحنُ لـم نَهُـنْ
نحنُ لا نَــرْهَبُ المَنُــونْ   نـحن أَبـقَى مِـنَ الـزَّمَـنْ
ولنا الحبُّ والحياهْ
رَغْمَ ما تصنعُ الحياهْ
وخُــطانــا على الــرِّمَــالْ   تُــطْلِعُ الـحبَّ والـجمــالْ
قَصَّرَ الليلُ أم أطالْ
سيــرانــا مــع الصبــاحْ   عندما مـا يُقْبِـلُ الصباحْ
قد كَبِرْنا على الجراحْ
وَارْتَفَعْنا على الألَمْ

هي الأرضُ طَبْعٌ في بَنِيها ومَنْ تَكُنْ
جِبِلَّتُهُ الأُولى تراباً تَمَرَّدا
وكم ضارِبٍ فيها بعكّازِ تائهٍ
يُعَدُّ مِنَ الْموتَى وَإنْ راحَ أو غَدا

ميلادُ شَاعر

مهداة إلى الملاح التائه شاعرنا الباقي علي محمود طه

١

إلى مِثْلِهِ تَصْبُـو عـذارى الخـواطـرِ
وفي يومه تَصْحُـو سكارَى المـزاهرِ
وفي كل هَمْسٍ حولَ بـمعناهُ ضَجَّةٌ
وفي كـلِّ معنًى منه صـرخةُ ثـائـرِ
أَلَمَّ على الأيـامِ يَسْقِي جَـدِيبَهـا
وَيَبْنِي جـديـداً فـوْقَ أطلالِ دَاثِـرِ
هو الشعرُ ما غَنَّى ربيعٌ، وما بَكَى
خريفٌ، وما اخْضَلَّتْ عيونُ الأزاهرِ
تَـراتِيلُ أنسـامٍ، وتَسْبيـحُ جَـدْولٍ
وَأَنَّـةُ مـوجـوعٍ، ومصبـاحُ حـائـرِ

أراق على وَجْهِ الصباحِ ضيــاءَهُ
وعــاقَرَهُ في الليـلِ صَمْتُ الدَّيـاجرِ
وَوَدَّتْ بنـاتُ الزَّهـرِ لو أَنَّ عَـرْفَهـا
مِنَ النَّغَمِ القُـدْسِيِّ سَبْحَةُ خـاطـرِ
وإِنَّ جـمــالاً لم تُـسَـجِّـلْهُ رِيشَــةٌ
مِنَ الفَنِّ نَهْبٌ لِلسَّــوافي الثَّوائــرِ
وإنّ حـيــاةً لا تُحِسُ جـمــالَـهُـا
لَتَكْلِيفُ مَصْفُـودٍ، وصَفْقَـةُ خـاسـرِ
تَغَنَّتْ بـه الآبـادُ من قَبْـلِ عَـزْفِـهِ
كـلامـاً فجـابَ الـدهـرَ أَوَّلَ عـابـرِ
وأَرْهَصَ لـلأوتـارِ حتى إذا شَــدا
تَجاوَبَ فَرْحُ الكونِ في بَرْحِ ساهرِ
ودَقَّتْ نــواقيسُ الـحيــاةِ وأطـلقتْ
رَهَـابِينُها في الجَـوِّ رُوحَ المَبـاخـرِ
ونـادَى مُنادٍ في السمٰواتِ أَوْقِـدُوا
كـواكبَهـا فـاليـومَ ميــلادُ شاعــرِ

٢

فَضَـجَّ بأَعْـراسِ السمٰواتِ عيـدُهـا
وقَـرَّ على شطِّ الحياةِ شـريـدُهـا

تَـجَـرَّدَتِ الأَنْغـامُ فـهي عـوالـمٌ
يُتَـرْجِمُ أسـرارَ الـوجـودِ وجـودُهـا
وأَقْبَـلَ ربُّ الشعـرِ في أيٍّ موكبٍ
تَحُفُّ بـه حُـورُ السمـاءِ وغِيـدُهـا
وطـافَ بـه جبـريـلُ قبـل نُـزُولِـهِ
إلى العالـمِ المَحْدُودِ والأرضُ بِيدُها
فلمَّا دَنَا مِنْ جـوهرِ الشِّعْـرِ زَلْزَلَتْ
بـه السـاحـةُ الكبرى ومـاجَ أَبِيدُهـا
وَقِيـلَ له يـا شـاعـرَ الكـونِ هـذه
هي الجَـذْوَةُ الأُولى وأنت وَقِيدُهـا
وَغَـوَّثَ بـالنـارِ القـديمـةِ كـاهنٌ
وَمَسَّ بهـا الـدنيـا فَضَـاءَ عَمُـودُهـا
وَدَبَّ بهـا معنًى جـديـدٌ وأَمْـرَعَتْ
بـطائحُها الجـدباءُ واخضـرَّ عودُهـا
وأَطْلَعَ ساقي الشعرِ في البيدِ كَرْمَةً
مُنَغَّمَـةً يَحْـدُو الـزمـانَ نشيـدُهـا
ونـادَى نبيٌّ قـومَـهُ: تلك واحـةٌ
على الأُفْقِ عَـذْرَاءُ الجِنانِ وَلُـودُهـا
فمـا آمَنَتْ بـالشعـرِ إلاَّ لُحُـونُـهُ
وَرَانَ على الأرضِ العجوزِ جمودُها

وقُــدِّرَ للدنيـا الشقــاءُ فــأَلْحَــدَتْ
وَجَـدَّفَ غـاوِيهـا وضَـلَّ رشيــدُهـا
وأَشْـرَعَتِ الأطمـاعُ فيهـا ضَغـائِنـا
يُجادِلُ في مَعْنى السلامِ حديدُهـا
ومــا كَــدَّرَ الأيــامَ إلَّا ظِمَــاؤُهــا
وهــل شَابَ مـاءَ العينِ إلَّا وُرُودُها
فـلا طـابَ نفسـاً بـالحيـاةِ شقيُّهـا
ولا قَــرَّ عينـاً بــالحيـاةِ سعيــدُهـا

٣

أَتَنْشُدُ في دنيا الحيارى مَنِ اهتدى.؟
أفي الحانةِ الحمراءِ ترتادُ معبدا.؟
هَـرَقْتَ إذنْ يا سادِنَ الشعرِ لَحْنَـهُ
وأَهْـدَرْتَ لِلْغَافِينَ نـايـاً مُسَهَّـدا..
هي الأرضُ طبعٌ في بَنِيها، ومَنْ تَكُنْ
جِـبِلَّتُــهُ الأُولــى تــرابــاً تـمــرَّدا
وكم ضــاربٍ فيهـا بِعُكَّــازِ تـائـهٍ
يُعَدُّ مِنَ الموتىٰ وإنْ راحَ أو غَـدا
وكـانت حياةُ الناسِ لولا زحـامُهم
عليهــا طــريقــاً للســلامِ مُعَبَّــدا

فلا تَكُ نجماً جاوزَ الليلَ وحدَهُ
بِبَيْداءَ فانْثالَتْ أَشِعَّتُهُ سُدى
لِمَنْ شارِقٌ في الأُفْقِ إن كنتَ لا ترى
وفِيمَ هُتافُ الوُرْقِ إن كنتَ جَلْمدا

* * *

هُنالِكَ والدنيا روايةُ ظالمٍ
وقِصَّةُ مظلومٍ وتَلْفِيقُ مُنْتَدَى
وفي ليلةٍ ظلماءَ يَنْسَلُّ بَرْقُها
كما جَرَّدَتْ كَفُّ الكَمِيِّ المُهَنَّدا
وفوقَ رَباةٍ يكمنُ الدهرُ عندها
وتُبصر فيها ـ قَبْلَ مَوْلِدِهِ ـ غَدا
دعا ربَّهُ الشادي وأَوْفَى بشعرِهِ
إلى العالم الثاني ومَدَّ له يدا
وكَفَّ عن الأوتارِ فهي نواشزٌ
كأعصابِ محمومٍ أَلَحَّ به الصَّدَى
وقال بنو الموتى لقد مات شاعرٌ
وكيف يذوقُ الموتَ مَنْ كان مُخْلَدا
بِقَدْرِ شعورِ المرءِ يمتدُّ عمرُهُ
وفي حَمْأَةِ الأيامِ يَرْدَى بنو الرَّدَى

ومـا مـات شـادٍ بـالجمـالِ وإنمـا
إلى عـالَمِ الألحانِ عـاد كما بَـدا
ومَنْ فهـمَ الأيـامَ لحنـاً مُجَـدَّداً
تـراءتْ لـه الأيـامُ لحنـاً مُجَـدَّدا

ربما اسْتَغْنَتِ الحياةُ عن العلمِ على رغم ما أَتَى العلماءُ
وعلى الفنّ وحدَهُ عاش أجـدادُكَ دهراً وهم بـه سعداءُ
إنَّ مَنْ أطلقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أأحسنوا أم أساءوا

في حانة سيد درويش

ألقيت في الاحتفال بذكراه الخامسة والعشرين

دَارَتِ الكاسُ والتقى الندماءُ
وأعادَتْ أيامَها الصهباءُ
وصفَا مجلسُ الشراب وطابَتْ وصحا في عبيرِها الإغراءُ
وَبَدَتْ حولَها المزاهرُ تَشْدو. وَدَعا الشَّرْبَ سامرٌ وغناءُ
واسْتَوى الضَّارِبُونَ فيها أفانينَ وَبَاتَتْ على الغديرِ الظِّماءُ
الليالي والصَّفْوَةُ النُّدَماءُ
وسُقَاةُ المَلاَحِنِ القدماءُ
باكَرَتْهم في موسمِ الفن فانْثَالُوا كما يجمعُ الفراشَ الضياءُ
أم يا نديماي: هذه حانُ باخوسَ وهذي أنغامُهُ العذراءُ
نبضاتُ الأوتارِ فيها تراتيلُ وَهَمْسُ الأعوادِ فيها دُعاءُ

عَصَرَ الفنُّ كَرْمَها مِنْ معانيه ودارَتْ بها النُّغُومُ الوضَاءُ
وإذا القومُ بعد (خمسٍ وعشرين) نَشاوى كعهدِهِمْ أَنْضَاءُ
رَقَصَتْ في أعصابِهِمْ سَوْرَةُ الفَنِّ وللفنِّ سَوْرَةٌ وانتشاءُ
نَغَمٌ عاجبٌ، ولحنٌ رُواءُ
وهوًى ساكبٌ، وطبعٌ رُخَاءُ
وتَصاوِيرُ للوجود كما لو شَفَّهُ الرسْمُ أو نَحاهُ الطِّلاءُ
وتَعَابِيرُ عن معانٍ دِقاقٍ لم يُحَوِّمْ في جَوِّها الشعراءُ
أنكرتْ عالمَ الفناءِ وضجَّتْ في صَداها الحياةُ والأحياءُ
صانعُ الخُلْدِ لا يموتُ وإن مَدَّتْ عليه سُجُوفَها الغبراءُ
عَلَّمَتْهُ الانسامُ كيف البكاءُ
وهَدِيُر الأمواجِ كيف الإباءُ
وعَوِيلُ الرياحِ كيف التَّشكّى، وعبيرُ الوُرُودِ كيف الغِناءُ
رُبَّ لحنٍ كانه موكبُ الرَّعْدِ عَتِياً كأنه الكبرياءُ
ولُحُونٍ كأنها رقصةُ النارِ تُغَنِّيها الزَّعْزَعُ النكباءُ
ولحونٍ كأنها لحظةُ الوصلِ زَهَتْها مَلاوَةٌ ولقاءُ
ولحونٍ تُصَوِّرَ النفسَ ألواناً ففيها الطُّيُوفُ والأَصْداءُ
نغماتٌ تَرَدَّدَ البِدْعُ فيها وسَقَتْها البديهةُ الوَطْفاءُ
غالَ خَلاَّقَها الرَّدَى فَتَبَنَّاها خلودٌ وذادَ عنها وفاءُ
يخفضُ الدهرُ عندها مِنْ جناحيهِ ويَرْدَى الرَّدَى ويَفْنَى الفناءُ
هي كالخمر كلما شَيَّخَ الدهرُ تَناهَى بها الصِّبا والفَتاءُ

ينبضُ الحبُّ في سَناها وتدعوكَ إلى اللهِ روحُها الحسناءُ
ومن الفنِّ ما يُعَلِّمكَ الحقَّ اذا مَوَّهَ الوجودَ الرياءُ
ومن الفنِّ ما يُبَشِّرُ بالرحمةِ دنيا طَغَى عليها الشقاءُ
ليس في جوهر الحقيقةِ غيرُ الفنِّ شيئاً. وغيرُهُ أَسْماءُ
والذي أَبْدَعَ العوالمَ فنَّانٌ تَظَنَّى في فَهْمِهِ الفُهَماءُ
والليالي قصائدٌ عصماءُ
وأولو الفنِّ وحدهم أنبياءُ
ربما اسْتَغْنَتِ الحياةُ عن العلم على رغم ما أتى العلماءُ
وعلى الفنِّ وحده عاش أجدادُك دهراً وهم به سعداءُ
إن مَنْ أَطْلَقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أأحسنوا أم أساءوا
والذي ظنَّها تراباً وماءً هو في نفسه ترابٌ وماءُ
شَدَّ ما تجنحُ الحياةُ إلى الروح وإن كان في الطريقِ التواءُ

ولــكــنَّ الــظلامَ إذا تــمــادَى
فَــلَيْسَ مِنَ انـتــظارِ الفَــجْــرِ بُــدُّ
وقــد يــأتي الصبــاحُ على هــوانــا
وقــد تَجْــرِي الــريــاحُ كمــا نَــوَدُّ

في انتظار الفجر

بِقلبي ما بقلبِك أو أَشَدُّ
وعندى مِنْ جَواكَ جوًى وسُهْدُ

ولكني أُكابر فيكَ ضَعْفي
ودمعي مِثلُ دمعِكَ مُسْتَبِدُّ

تُراوِدُني دواعيهِ فأُغْضي
وبي مِنْ كبرياءِ الدمعِ جَهْدُ

إذا سَكَنَتْ إليه العينُ يوماً
تمرَّدَ في دمي لهبٌ وَوَقْدُ

فَيَرْمِيني على العبراتِ وَجْدٌ
وَيَثْنِيني عن العبراتِ وَجْدُ

ولــو أني بكيتُ لَخَفَّ مــا بي
ولــكنَّ الــبُكـا لِــلْحُــرِّ قَــيْــدُ
* * *
هي الــدنيا فــلا تَعْتِبْ وَخُــذْهــا
عـلى عِــلَّاتـهــا لا شــيءَ بَـعْــدُ
ولــلأيــامِ أعــمــارٌ قِــصــارٌ
وأقــدارٌ تــروحُ بــنــا وتــغــدو
قـوافـلُ في ضميــر الغَيْب تَمْضي
وصَــرْفُ الــدهــرِ يهـزلُ أو يَجِــدُّ
ونــائحــةٌ على الأغــصــانِ تبكي
كهــاتفــةٍ على الأغصــان تَشْــدُو
فــلا تعتبْ على الــدنيــا ودَعْهــا
لمن يــبكــيِ عليــهــا وهي تَــعْــدو
* * *
تعــالَ إلى خميــلِ الحبِّ نَشْــدُو
كســالفِ عهــدِنــا والعيشُ رَغْــدُ
تـعــالَ فـنحن فـي دنيــا هــوانــا
نـعيشُ وبـيـنـنــا سـبـبٌ وعَـهْــدُ
تـعــالَ فليس بـعــد الحبِّ شيءٌ
ولــيس لـعــالَــمِ الأشــواقِ حَــدُّ

يَــدُ الأيــام أقْـصَــرُ مِنْ هــوانــا
فـكيـف تـنــالُ مـنــه وهــو خُـلْدُ
ولــكـــنَّ الــظلام إذا تــمــادَى
فـليس من انـتــظارِ الفـجــرِ بُــدُّ
وقـد يـأتي الصبــاحُ على هــوانــا
وقـــد تَجْـرِي الــريـاحُ كمـــا نَــوَدُّ

أَيُّهذا النديمُ ويحكَ أَوَفَيْتَ فَمِلْ بي على مُوَيْسٍ وَهاتِ
أنا في شَطِّهِ أراقبُ فِعْلَ الدهـرِ في أهله وأرقبُ ذاتي
أنا في شطِّهِ أُراجعُ في سِفْرِ وجودي أيّاميَ الخـالياتِ

رجعة الى مويس

ومويس نهير يمر بالزقازيق كانت لنا على شطآنه ذكريات
أيام كنا فتية نتعاطى المعرفة في معهد الزقازيق

وصلَ الرَّكبُ يا نديمُ فهاتِ
هذه رَمْلَتي وتلك رُباتي
الرّياض اللفَّاءُ. والرَّفْرَفُ الخُضْرُ. ومَغْنَى الصِّبا. ومَلْهَى اللَّذاتِ
ومَغاني عَمَّاتِكَ النَّخلِ فَرْعاءَ صموتاً كعهدِها قائماتِ
ومُوَيْسُ السكرانُ راويةُ الحبّ وساقي لُحُونِهِ النَّمِلاتِ
معبدُ الراهبِ الخليعِ بساطٌ للندامى وموعدٌ للغُواةِ
العجوزِ الزنديقِ خمارةِ الشعر وعُزَّى ندمانِها واللَّاتِ
خَطَرَ الفنُّ حوله فَجَثا يَستَغْفِرُ الحُسْنَ والعُيونَ اللَّواتي
وعلى صَدْرِهِ بُغَامُ حنينٍ. وعلى شَطِّهِ عُرامُ سُقَاةِ
أنا أيضاً من السُّقاةِ ولي في ذلك الشَّط قِصَّتي وَرُواتي

فوق هذا الثَّرى سَكَبْتُ مِنَ العُمْرِ سِنِيناً عَصَـرْتُها مِنْ حياتي
وعلى هـذه الـرِّمـالِ تنـاولتُ كتـابَ المـأسـاةِ والمسـلاةِ
والزمانُ المَطْمُورُ تحتَ رُباها بعضُ ذاتي وفيه بعضُ صفاتي
فاعْذِرُوني إذا لَوَيْتُ عنِ الرَّكْبِ فإني أَسِيرُفى ذكـرياتي

* * *

يـا سَقَى الله بالـزقازيق أيـامَ صبايَ النـواضرَ العـطراتِ
وسنينـاً كأنهـا طَـرْفـةُ العينِ خِفـافـاً مَـرَرْنَ كـاللَّحـظاتِ
يَسْتَرِقـنَ الخُطىٰ إلى شاطىء النسيانِ في موكبٍ رهيبِ الصُّماتِ
مَنْ تُرَى أَيْقَظَ الخواطرَ حولي وأثارَ المَطْوِيَّ مِنْ صفحاتي
وأعـادَ الأيامَ والمعهـدُ السامقُ مسـروجٌ بالنجـومِ الهُداةِ
الفُحولِ الأعلامِ أَمْثِلَةِ الـزُّهدِ وشِيخَـانِهِ العُـدُولِ الثِّقاتِ
ورفيقٍ كـأنه هـامشُ الشَّرحِ إذا صَـاتَ يمضغُ القـافاتِ
حَنْبَلِيٌّ كـأنـه الجمـلُ الأَوْرَقُ صَخَّـابَـةٌ كثيـرُ اللَّتَـاتِ
السـراجُ العليل يَشْهَقُ في محـرابِهِ والبِلىٰ يَـرُوحُ ويَاتي
ونَضِيـجٍ مُفَلْفَلٍ لاذِعِ الـطُّعْمَةِ يَشْـوِي أصابعي ولَهـاتي
هـو زادُ المسافـرين بلا زادٍ وقُـوتُ المحتاجِ لـلأقـواتِ
يَتَصَبَّى المجـاورين فَتَنْصَبُّ عليـه كـالفـاتحين الغُـزاةِ
أَتْرُكِ المَتْنَ. وَاطْوِ حاشيةَ السَّعْدِ. وأَدْرِكْ شَيْخُونَ قَبْلَ الفَواتِ
أنا مِنْ مازنٍ ومازِنُ مِنِّي والليالي القَمْراءُ مِنْ صَدَحاتي

* * *

أَيُّهذا النديمُ وَيْحَكَ أَوْفَيْتَ فَمِلْ بي على مُوَيْسٍ وهاتِ
أنا في شطِّهِ أراقبُ فِعْلَ الدهـرِ في أهْلِهِ وأرقبُ ذاتي
أنـا في شطِّه أُراجـعُ في سِفْرِ وُجـودي أيامِيَ الخالياتِ
أُوقِظُ الماضيَ البعيدَ وأخشى أَنْ تَغيمَ الأشباحُ في خلجاتي
وأنا الشاعر الذي زَمْزَمَ الكاسَ فَـرَنَّتْ بهذه المُـرْقِصاتِ
ليتَ مَنْ عَقَّني وَأَلْحَدَ بالشعرِ يَرُدُّ الأَخِيـذَ مِنْ خطراتي

في زَوْرقِ الأحلامِ رُوَّادُ
وصلوا ضِفـافَ الغيبِ أوكادُوا
والشوقُ بين رحالهم زادُ . .

لحنٌ قَديم

دُورُوا بها في يومِها دُورُوا كادتْ تطيرُ بِأَهْلِها الدُّورُ
دُورُوا بها
في زَوْرقِ الأحلامِ رُوَّادُ وصلوُا ضِفَافَ الغَيْب أوكادُوا
أحلامُهمْ أفراحْ وحَنِينُهُمْ مَلَّاحْ
والشَّوْقُ بين رِحَالِهِمْ زادُ ولهم بأرضِ الحبّ ميعادُ
والحبُّ أغوارٌ وأَبْعادُ فيها الهوى والظلُّ والنُورُ
دُورُوا بها في يومِها دُورُوا
راحتْ بما نخشاهُ أيامُ وأتتْ بما نهواهُ أيامُ
يا فرحةَ الأفراحْ يا جنة الأرواحْ
أيامُنا والعيشُ أحلامُ وحياتُنا شعرٌ وأنغامُ
وعلى طريقِ الشوقِ أعلامُ فَرْحَى يُرَفْرِفُ حولَها النُّورُ

وتَزُفُّها الوِلْدانُ والحُورُ
دُورُوا بها في يومِها دُورُوا

مودٌ في أَوابِدِهِ الشَّماءِ بُعْدٌ. وفي شَذَاها اقترابُ
حَلْبَةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْرِ بعيداً. في شَـذْوِهِ إِغْرابُ
. تَشِفُّ عن المعنى كحسناءَ يَـزْدَهِيها نِقـابُ

محمود حسن اسماعيل
في ذكراه الرابعة

غابَ عن روضِهِ. وطالَ الغِيابُ
نازحَ الروضِ: ما كفاكَ اغترابُ.؟
جَفَّتِ الكاسُ يا جديدَ المعاني، وشكا النايُ شَجْوَهُ. والرَّبابُ
وذَرَتْ نُضْرَةُ النَّدِيِّ كما يَذْوِي شعاعٌ إذا تَهاوَى الشِّهابُ
شَأْنُ مَنْ عاقَرُوا أغارِيدَ محمودَ فغابُوا وهم حُضُورٌ وذَابُوا
وتَساقَوْا على هواهُ أهازِيجَ تَغَنَّى بها الهوَى والشبابُ
ذاكَ محمودُ في أوَابِدِهِ الشَّماءِ بُعْدٌ. وفي شَذَاها اقْتِرابُ
شاعرُ الحَلْبةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْرِ بعيداً. في شَدْوِهِ إغْرابُ
فنسيمٌ مُعطَّرٌ. وهجيرٌ. وظلالٌ. وَهَدْأَةٌ. واضطرابُ
وضَبَابِيَّةٌ تَشِفُّ عن المعنى كحسناءَ يَزْدَهِيها نِقابُ
وأفانينُ مِنْ رُؤىً لا تراها العينُ لكن تَرُودُها الألبابُ

صُوَرٌ جَادَها هوىً غلّابُ
وخيالٌ مُجَنَّحٌ وَثَّابُ
وحنينٌ لعالمٍ ليس يَبْدُو. فيه شَجْوٌ. وفيه جَوٌّ عُجابُ
رِيشَةٌ مِنْ جناحِ جبريلَ في كَفِّ هَتُوفٍ لُحوُنُـهُ محرابُ
يَسْجُدُ الفنُّ في ثَراها. وتَنْدَى خطراتُ الهوى. وتَعْنُو الرِّقابُ
ذاكَ محمـودُ. ما لمحمـودَ أنـداءٌ. ولكنمـا لـه أحبـابُ
جَمَعَتْهُمْ في حـانةِ الشعـرِ أقداحٌ وراحٌ رَاوُوقُهـا مِطْرابُ
* * *
لستُ أنسى أيامَنا منذُ كُنّا. حيث كان الصِّبا وكان الشبابُ
والليالي كما عهدنا وِضاءٌ. والأماني كمـا رَجَوْنـا عِذابُ
وَدِنـانُ الزمـانِ تَفْهَقُ بالشعـرِ وتدعـو لكأسِـهِ مَنْ أنـابُـوا
وتراتيلُ شـاعرِ الكـوخ في الحانـةِ شوقٌ لشـوقِهِ وَلُهـابُ
فَانْتَشَى الشَّرْبُ. والنَّدامى. وطابتْ لحظاتُ اللِّقا. وطابَ الشرابُ
* * *
أين تلك الأيامُ يا ساقيَ الشعرِ. وأين الرَّاوُوقُ والأكوابُ
أين أيـامُنـا. وأين ليـالينـا. وأين الـرِّفـاقُ والأصحــابُ
سبقُـونـا لعـالمٍ ليس فيـه نَـزَواتٌ وليس فيـه احْتِـرابُ
إيهِ محمودُ. مـا قَضَيْتَ وما زال شَجِياً هُتافُـكَ الخَلّابُ
أنتَ في عالم البقاء مقيمٌ. ليس في تُرْبِها عليكَ حِجابُ
أنت روحٌ مُجَنَّحٌ. رائعُ الشَّذْوِ. مُحالٌ أن يحتويكَ التُّرابُ

ولقد ساءلتُ نفسي كلَّ صبحٍ ومساءْ
عالَمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفَناءْ
أُفْرِغَ العقلُ عليه فهو فَنٌّ وَرُواءْ
إِنْ يَكُنْ تَقْوِيضُهُ حَتْماً فَلِم كانَ البِناءْ
ولماذا بَعْدَ عُمْرِ الأرضِ في هذا العَناءْ

خُماسِيَّات

وَرَاءَ خُطىٰ الليل..

هَدَأَ الكونُ وأَضْفى الليلُ ثوبَ الظلماتِ
ساكناً إلا بصيصاً من نجومٍ خافقاتِ
ترسلُ الضوءَ كجوَّابٍ ضعيفِ الخطواتِ
يَعْبُرُ الدهرَ إلى المجهولِ مِنْ تِيهِ الحياةِ
كالصَّدَى الغامضِ. أو كالطَّيفِ، أو كالْهَمَسَاتِ
هَدَأَ الكونُ فما لِلْكَوْنِ دُونَ النبض حِسُّ
وَغَطِيطُ النهرِ حُلْمٌ. وحديثُ الريحِ هَمْسُ
والأَوَاذِيُّ على الشاطىءِ تَرْبيتٌ وَلَمْسُ
هُدْنَةٌ للكونِ من حربٍ على الأكوانِ تَقْسُو
ركبتْ زورقَ ظلماءَ على الفجرِ سَيَرْسُو

* * *

هدأ الكونُ فما لي قد طغَى تَيّارُ فِكْرِي
يَعْصِفُ الشكُّ به حتى على الشَّك ويُغْرِي
لا تَلُمْ حَرَّانَ دَاوَى لذعةَ الجمرِ بِجَمْرِ
لَوَّحَ الوَهْمُ له فانْسابَ فوق الشَّوْكِ يَجْرِي
أضلالٌ أم هُدىً ما نحن فيه ليت شعري
آهِ لو يكشفُ عن مَخْبئِهِ سِرُّ الحياةْ
إنني ظمآنُ.. ظمآنُ على وِرْدِ المياهْ
إنني حيرانُ.. حيرانُ تَرَدَّى في أساهْ
ليس يَشْفِيني سُكوتي. لا... ولا تُجْدِي الشَّكاةْ
وطريقُ الشكّ دُوني لستُ أدري مُنْتَهاهْ

* * *

تائِهٌ طالَ سُراهُ في مَجاهِيلِ العُصُرْ
جامِدُ الوجْهِ، خفيفُ الخَطْوِ، يجتازُ القَدَرْ
كُلَّما شَاخَ وأوْهَى شَرْخَه شَيْبُ السَّحَرْ
ذابَ في الفجرِ. وألْقَى السيفَ في صمتٍ وَفَرّْ
أين يا ليلُ بنا تمضي لقد طالَ السَّفَرْ
ما لهذا الليل لا ينفكُّ عن هذا الرحيلْ
دائباً ينتهبُ الأجيالَ جيلاً بعد جيلْ
يُفْسِحُ الدنيا لكونٍ مقبلٍ جَمّ الفُضُولْ
ثم يَطْوِيهِ لكونٍ آخرٍ عَمَّا قليلْ

قِصَّةُ الدنيا المنايا، ولياليها الفُصُولْ

* * *

قصةٌ طالتْ وَلَمَّا يُسْدِلِ الدهرُ السِّتارْ

لَخَّصَتْ دنياكَ في كَرِّ الليالي والنهارْ

ورَحاها أيس دارتْ شَمَّرَ الموتُ ودارْ

قِفْ على الشاطىءِ وانظرْ كيف يَنْتالُ الدَّمارْ

لَكَأَنَّ الليلَ جيشٌ والدياجيرُ الغُبارْ

أتَرى البدرَ ضليلاً.؟ هل رأيت الشُّهب حَيْرى؟

تَذْرَعُ الأفقَ ثقيلاتِ الخُطى شِبْراً فشبرا

سائماتٍ في الفيافي تأكلُ الآجالَ جَهْرا

فاذا صاحَ بها الديكُ مضتْ تأكلُ سِرّا

ليست الأعمارُ إلا ليلةً تمضي وأخرى

* * *

ليلةٌ تلك التي أَطْلَعَها الغَيْبُ وراحَتْ

ونعاها الديكُ واستبكى النَّدَى حتى تَوارتْ

أين راحت هذه الليلةُ؟ بل من أين جاءتْ

ما الذي ينقصُ عُمْرَ الكونِ وَلَّتْ أو أقامتْ

إنها الأيامُ دارَتْ. إنها الساعةُ حَانَتْ

إيهِ يا دنيا رويداً.. لا. بل امْضِي ساخِرَهْ

إنما نحن نيامٌ في سفينٍ ماخِرَهْ

تُـرِكَـتْ دَفَّـتُـهـا نَـهْـبَ الـسَّـوافـي الـثـائـرهْ
فـمضتْ بين صخـورِ الـغـيـبِ تـجـري عـابـرَهْ
أتُـرى «جُـودِيُّـهـا» غَـيْـرُ صـخـورِ الآخـرهْ

* * *

هـل رأيتَ الـرّاكض المجنـونَ يَعْـدو خَلْفَ ظِلِّهْ
جـاهـداً يـسـبـقُـهُ الـظِّلُّ ويُـغْـرِيـهِ بِـنَـوْلِـهْ
هـو مـنـه خـطوةٌ لـكـنـهـا كـالـكـونِ كُـلِّهْ
هـكـذا الإنـسـانُ في الـدنيـا ضَـلِيـلاً خَلْفَ عَـقْـلِهْ
كـلـمـا ازدادَ عـلومـاً زادَ إيـقـانـاً بـجـهـلِهْ
إنـمـا الـدنيـا كـتـابٌ وبـنـو الـدنـيـا سـطورْ
دَفَّـتـاهُ سـاعـةُ الـمـيـلادِ والـيـومُ الأخـيـرْ
تـقـرأُ الأيـامُ فـيـه قـصَّـةَ الـكـونِ الـكـبـيـرْ
كـلَّـمـا مَـرَّتْ عـلى سـطرٍ وَعَـتْـهُ فـي الـضـمـيـرْ
ومَـضَـتْ تـمـحـوهُ لا يُـمْـهِـلها وَخْـدُ الـدهـورْ

* * *

سُـبْحَـةٌ في كفِّ شيـخٍ راهـبٍ بـالـموت يُـغْـرِي
كـلّـمـا سبَّـح مَـرَّتْ حَـبَّـةٌ في الـغـيـبِ تَـجْـرِي
مـا الـذي أبـقـاهُ مِـنْ حَـبّـاتـهـا. لـيـتـكَ تَـدْرِي
أيـهـا الشيـخُ رويـداً إنـني فـي الـمـوتِ غـيـري
هـذه الـحـبّـاتُ في كـفِّ الـرَّدَى سـاعـاتُ عُـمْـرِي

كانت الدنيا قِفاراً والليالي مُصْحِراتْ
تَنْعَبُ الوحشةُ فيها وتغولُ الظلماتْ
والأساطيرُ بها مِنْ قوةِ الجهلِ حياةْ
حَلُمَتْ حتى أفاقتْ ونأى عنها السُّباتْ
فإذا الموجُ فَحِيحٌ. والسَّوافي صَرَخاتْ

* * *

مَنْ تُرى أنْشَأَ ذاك الروضَ مِنْ تلك القِفارْ
سلَّطَ العلمَ على الجوِّ وأزْرَى بالبِحارْ
ومضى في الأرض يَسْتَعْدِي على الأرضِ البُخارْ
قد طواها فهو ريحٌ واحْتَواها فهو نارْ
سَعَرٌ في قُوَّةِ الإنسانِ يَشْفِيهِ السُّعارْ
تَخِذَ السِّلْكَ رسولاً وامتطى البرقَ وَهَمَّا
يَنْخُلُ العالَمَ في تفكيرِهِ والبحثِ عَمَّا
كلَّ يومٍ بجديدٍ مُعجزٍ يُضْنِيكَ فَهْما
قد أتى بالسِّحْرِ والبحثُ فَطِيرٌ لم يَتِمَّا
إنني أسألُ ماذا يصبحُ العالمُ لَمَّا

* * *

عندما يأخذُ كلَّ الكونِ تفكيرُ البشَرْ
لم يَدَعْ في الأرضِ شِبْراً لم تُقَلِّبْهُ الفِكَرْ
هَبْهُ طالَ النَّجم في العلياءِ أو جازَ القَمَرْ

وتَحدَّى قوةَ الدنيا وأَزْرَى بالْغِيَرْ
ثمرٌ طابَ فماذا بعد أن طابَ الثمرْ
ولقد ساءلتُ نفسي كلَّ صبحٍ ومساءْ
عَالَمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفَناءْ
أُفْرِغَ العقلُ عليه فهو فَنٌّ وَرُواءْ
إنْ يَكُنْ تقويضُهُ حتماً فَلِمْ كانَ البِناءْ
ولماذا بعد عُمْرِ الأرض في هذا العَناءْ

* * *

ضِلَّةٌ للعقلِ مخدوراً غريقاً في الخُمارِ
وَجَدَ العالَمَ أشواكاً وناراً خَلْفَ نارِ
فمشى فوق اللَّهيبِ الجاحمِ المسعورِ عارِي
هائماً يَغْمُرُ في الدنيا بأسبابِ الدَّمارِ
ربما كان خرابُ الكونِ في هذا العَمارِ
أصحيحٌ أن قوماً أدركوا سِرَّ الحياةِ
وَبحقٍ أدركوه أم أتوا بالنُّزهاتِ
أَفْتَوُا العُمْرَ جدالاً في أمورٍ باطلاتِ
سَكَبُوا في هامش الكونِ دماءَ الشبهاتِ
ثم راحُوا وكتابُ الكونِ بِكْرُ الصَّفحاتِ

هِيهِ يا أوَّلَ الطريقِ من العامِ يميناً فنهتدي أم شمالاً
أيّ شيءٍ صورتَهُ حين صوَّرْتَ من النُّورِ جابةً وسؤالاً

هلالُ المُحَرَّم

عادَ بعد النَّوى وألْقى الرِّحالا
صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وشهيدٌ على الزمان قديمٌ. كالزمانِ القديمِ يأبى الزَّوالا
وكـأَنَّ الظلامَ حـول مَرائيـهِ غُبـارُ الـدهـورِ مَـرَّتْ ثِقـالا
والزمانُ العجـوزُ داهيةٌ يـرتجلُ المـوتَ والحياةَ ارتجـالا
والـزمانُ العَنِيـدُ أحمقُ يـرتـادُ المنـايـا ويـركبُ الأهـوالا
والزمان العجيبُ أُسـطورةٌ يَنْسِجُها الـوَهْمُ للوجودِ خيـالا
صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وَدَّ لو ترجمَ الضياءَ مقالا
وبـواكيـرُ مِنْ سنـاءٍ تَهـادَى، كتبـاشيـرَ مِنْ رجـاءٍ تَـلالا
خطَّهُ الغيبُ في السموٰات سطراً. وَهِـمَ الناسُ إذْ دعوهُ هلالا

هو هَمْسٌ في خاطرِ الكون مشبوبٌ يَقُصُّ التاريخَ والأبطالا
هو فَنٌّ على السماءِ. ومعنىً كالمعاني. وهجرةٌ تتوالى
هو شيءٌ غيرُ الأهاليلِ يُوفي كلَّ عامٍ فَيُوقظُ الآمالا
خِنْجَرٌ في يَدِ المحرَّمِ مَسْلُولٌ على عالَمٍ يَضِجُّ خَبالا
قد لَواهُ الطّعانُ في لَجَبِ الدهرِ وعُنْفُ الطعانِ يَلْوِي النِّصالا

* * *

هِيهِ يا أوَّلَ الطريقِ من العامِ يميناً فنهتدي أم شمالا
أيّ شيءٍ صوَّرتَهُ حين صوَّرْتَ من النُّور جابةً وسؤالا
أتُرانا على الطريق أم انْبَتَّتْ بنا السُّبْلُ وانتحرنا جدالا
وخرجْنا إلى الحياةِ مَثاكيلَ نُجيدُ النُّواحَ والإِعْوالا
وقَنِعْنا من المعاركِ بالوصف وخُضْنا غِمارها أقوالا
ونَصَبْنا لكلِّ ساعٍ شراكا. وملأنا طريقَهُ أوحالا
واحتمينا من الحقائق بالجهل وسرنا وراءه أشكالا
الذي صار عند قوم حراماً كان في يومه القريب حلالا
ضِلّةٌ لِلَّجاجِ يَخْتُلُ قومي ويُريهم أقوالَهم أعمالا

* * *

يا هلالاً في مطلع العامِ أُلْهُوباً يسوقُ الأيامَ وهي كُسالى
هاتِ من ذكرياتِ يومك يوماً يَقْرَعُ الغافلين والجُهّالا
وأعِدْ قصّةَ الخلودِ على العالم واضربْ فُصُولَها أمثالا
هي ميراثُ أمةٍ غالها الخُلْفُ وصاغَتْ من جهلها أغلالا

قصةٌ، ترسُمُ البطولةُ في أحـداثها العَـزْمَ صارماً والنضالا
قصةُ الرأيِ حين تَجْحَدُهُ الأرضُ عِنادا من حمقها أو ضلالا
قصــةٌ تُلْهِمُ التأمُّـلَ مَسْراهُ وتُضْفي على الـوجودِ جـلالا
ما نظمتُ التاريخَ فيها ولكني ضربتُ التاريخَ فيها مثالا

وَمِنْ صِلاتي بكَ دمعُ المعذرهْ
إن لم يكن ذنبٌ فقيمَ المغفرهْ

طاعَةُ المعصِيَة

أَنْشــأْتَ نَـسْــراً وخـلقـتَ قُـبَّـرَةْ
وصُفْتَ ظـبـيــاً وارتـجلتَ قَـسْــوَرَهْ
تنــاحُـرُ البقــاءِ في هــذا الشَّــرَهْ
مجــزرةٌ في الـدهــر أَيُّ مجــزرَهْ
فمَنْ أتــاحَ الكـونَ تلك السيــطرهْ
ومَــنْ أَمــدَّهُ بتــلك الــمـقــدرَهْ
والـذنبُ يـا ربَّــاه مَنْ ذا صــوَّرَهْ
مَنْ قــال كُنْ ذنبــاً ومَنْ ذا قــدَّرَهْ
قــد جئتُــهُ عمــداً لكيمــا تغفــرَهْ
ومِنْ صِـلاتي بـك دمــعُ المعــذرَهْ
إنْ لم يكن ذنبٌ ففيمَ المغْفِرَهْ

* * *

إنْ عبدَ الناسكُ ما شوَّقتَهُ
أو رهبَ الراهبُ ما خوَّفتَه
فقد عبدتُ فيك ما قدَّرْتَهُ
أردتُ يا ربيَ ما أردْتَهُ
فما الذي أجرمَ مَنْ نَحَتُّهُ
مِنْ صخرةِ الإثم الذي جَبَلْتَهُ
وإنْ أكن عصيتُ ما أمرتَهُ
فإنني أطعتُ ما أبْرَمْتَهُ
أيخرجُ العبدُ على ما شئتَهُ

* * *

عِصيانيَ الطاعاتِ إنْ أسأتُ
كطاعةِ العصيانِ إن أحسنتُ
رُحْماك يا ربي فإني جِئْتُ

على قلبي وضعتُ يَدا   ونحوكَ قد ممدتُ يدا
وليس يضيقُ بابُكَ بي   فكيف تَذُودُ مَنْ وَرَدَا

لغَيرُكَ ما مَدَدتُ يَدا(١)

لِغيـــركَ مـا مـــددتُ يـــدا   وغَيْـــرُك لا يَفـيضُ نَـــدى
وليس يضيقُ بـــابُــكَ بـي   فكيـف تَـــرُدُّ مَنْ قـصــدا
ورُكْنُـكَ لم يـزل صَمَـــدا   فـكـيـف تَــذُودُ مَـنْ وَرَدَا
ولـــطفُـكَ يـــا خَفِيُّ اللُّطْـ   ـفِ إنْ عادِي الزمانِ عَدا

* * *

على قلبـي وضعـتُ يـــدا   ونحـوكَ قـد مــددتُ يــدا
سَــرَى ليلي بغيـرِ هُــدىً   ولا أدري لأيٍّ مَــدى
يُطارِدُني الأَسى أَبَـــدا   ويــرعـاني الجـوى أَبَـــدا
ويَنْشُــرُ في الهـوى روحــاً   ويَــطْرِيني الهـوى جســـدا

(١) موسيقى وألحان كمال الطويل وغناء أم كلثوم

وأَطْـوْي الـبِيـدَ طـاويـةً كـأني في الفضـاءِ صَـدَى

* * *

نهـاري والهـجيـرُ لَـظىً ولـيـلي والـظلامُ رَدَى
فـواكـبـدا إذا أُضْـحـي وإن أُمْـسي فـواكـبـدا
ولـيس سـواكَ لي سـنـدٌ فقـدتُ الأهـلَ والسَّنَـدا

ولمَّا طواني الدُّجى والجوى
لَقِيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

حانَةُ الأقدَار[1].

حانةُ الأقدارْ
عربدتْ فيها. لياليها
ودار النُّورْ
والهوى صاحي

* * *

هذه الأزهارْ
كيف نسقيها. وساقيها
بها مخمورْ
كيف يا صاحِ

* * *

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي، وغناء أم كلثوم

سألتُ عن الحب أهلَ الهوى
سُقاةَ الدموع ندامىٰ الجوى
فقالوا حَنانَيْكِ مِنْ شجْوِهِ
ومن جِدِّه بكِ أو لَهْوِهِ
ومن كَدَرِ الليلِ أو صَفْوِهِ
سَلِي الطيرَ إن شئتِ عن شَدْوِهِ
ففي شَدْوِهِ هَمَسَاتُ الهوى
وَبَرْحُ الحنينِ وشَرْحُ الجَوى

* * *

ورحتُ إلى الطيرِ أشكوُ الهوى
وأسألُه سِرَّ ذاكَ الجوى
فقال حَنانَيْكِ مِنْ جَمْرِهِ
ومِنْ صَحْوِ ساقيهِ أو سُكْرِهِ
ومِنْ نَهْيِهِ فيكِ أو أَمْرِهِ
سَلِي الليلَ إنْ شئتِ عن سِرِّهِ
ففي الليل يُبْعَثُ أهلُ الهوى
وفي الليل يَكْمُنُ سِرُّ الجوى

* * *

ولما طَواني الدُّجى والجَوى
لَقِيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

ففي حانةِ الليل خَمَّارُهُ
وتلك النُّجَيْماتُ سُمَّارُهُ
وتحتَ خيامِ الدُّجى نارُهُ
وهَمْسُ النسائمِ أسرارُهُ
وفي كلِّ شيء يَلوُحُ الهوى
ولكنْ لمن ذاقَ طعمَ الهوى

يَهُونُ عـذابُ الجسم والروحُ سالمٌ
فكيف وروحُ المستهـامِ جـروحُ
وليس الذي يشكو الصبـابةَ عـاشقاً
ومـا كـلُّ بـاكٍ في الغـرامِ قَـرِيحُ

يَقُولونَ لي غَنِّي[1]

غريبٌ على بابِ الـرجـاءِ طـريـحُ
ينـاديـكَ مـوصـولَ الجـوى وينـوحُ
يَهونُ عذابُ الجسمِ والروحُ سالمٌ
فكيفَ رورحُ المسـتـهـام جــروحُ
وليس الذي يشكو الصبابةَ عـاشقاً
ومـا كـلُّ بـاكٍ في الغـرام قَـرِيـحُ
يقـولـون لي غَنِّي وبـالقلبِ لـوعـةٌ
أُغنِّي بـهــا في خَـلْوتـي وأَنُـوحُ
ولي في طريق الشوق والليلُ هائمٌ
ولي في مَقامِ الوَجْـد حالٌ ولـوعةٌ

(١) من أغاني رابعة العدوية. ألحان كمال الطويل. وغناء أم كلثوم

مـعـالـمُ تَـخْفَـى تَـارةً وتـلوحُ
ودمـعٌ أداري في الهـوى ويَبُـوحُ
وأنت وجـودي في شهودي وغَيْبَتي
وسـرُّك نـورُ النـورِ. أو هـو روحُ
ومـا رَحَلَتْ إلاّ اليـكَ مـواجـدي
وداعي الهـوى بـالـوالهين يصيـحُ
بِسِـرٍّ الهـوى يغـدو وفيـه يـروحُ
غـريبٌ على باب الـرجـاءِ طـريـحُ

حَيائي منكَ يُبْعِدُني وداعي الشوقِ يُدْنِيني
ووَجْهُ الصَّفْحِ يُخْجِلُني ويقتلُني ويُحْيِيني

في بحار النّدَم[1]

على عيني بكتْ عيني   على رُوحي جَنَتْ روحي
هواكَ وبُعْدُ ما بَيْني   وبينكَ سِرُّ تَبْرِيحي
على عيني
على روحي
فياغوثاهُ ياغوثاهْ
ومِنْ طُول النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ
صحا مِنْ شجْوِهِ كأسي   وقد نامَ الخَلِيُّونا
فكيف أفِرُّ من نفسي   إذا هامَ المُحبُّونا
على نفسي

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم.

جَنَتْ نفسي
فيا ويلاهُ يا ويلاهْ
ومن طول النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ
حيـاتي مـنـك يُبْـعِـدُني   وداعي الشـوق يُـدْنِـينـيِ
ووَجْـهُ الصَّفْـح يُخجلني   ويقتـلـني ويُـحـيـيـنـي
وأيامي
تُقاضِيني
على ما كان يا أسفاه
ومِنْ طولِ النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ
خَلَوْتُ إلـيـكَ يـا ربـي   وقـلتُ عسـاكَ تـقـبـلُنـي
فـمـا بـالي أرى ذنـبي   وأيـامـي   تُـطارِدُنـي
مَدَدْتُ يدي
فَخُذْ بيدي
اليكَ ومنكَ يا ربَّاه
ومن طول النوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ

في كأس عُمري بقايا مَنْ يُشاربُني
ومَنْ يُطارِحُني والعيشُ ريحانُ

صُحُبَةُ الرّاح (١)

يا صحبةَ الرّاحِ: أَهْلُ الراحِ هل حانُوا
وهل تَغَنَّتْ على أيامِها الحانُ
صَبا النَّدامى وما في الحانِ أَلْحانُ

* * *

في كأسِ عمري بقايا مَنْ يُشارِبُني
ومَنْ يُطارِحُني والعيشُ رَيْحان
ثُمالَةٌ مِنْ دموعِ الشَّجْوِ ألوانُ
إبريقُها راحَ يبكي وهو فرحانُ
ثُمالةٌ آهِ لو فَاضَتْ. وآهِ إذا

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم

غـاضَـتْ. وواهـاً لـهـا والـقـلبُ لـهـفـانُ
عـهـدي بـهـا وكـؤسُ الـصَّـفْـوِ مـتـرعـةٌ
بـهـنَّ طـافَ عـلى الـسّـكْـرى سُـكَـرْانُ
لا يـشـربُ الـراحَ إلاَّ أنـه ثَـمِـلٌ
نـشـوانُ والـكـاسُ فـي كـفـيـه نـشـوانُ

* * *

تُـرى تَـعـودُ الـلـيـالـي والـهـوى مـعـنـا
يـا غُـرْبَـةَ الـكـاسِ مـا لـلكـاسِ نُـدْمـانُ

ولستُ على الشَّجْـو أشكو الهـوى
رضيتُ بمـا شئتَ لي في هـواكـا

أُحبُّكَ حُبَّيْن[1]

عـرفتُ الهوى مُـذْ عـرفتُ هـواكـا
وأغـلقـتُ قـلبـيَ عَـمَّـنْ عـداكـا
وقـمتُ أنـاجيـكَ يـا مَنْ تـرى
خفـايـا القلوبِ وَلَسْـنـا نـراكـا
(أحـبُّـك حبيـن: حُـبَّ الـهـوى
وحبـاً لأنـك أهـلٌ لـذاكـا)[2]
(فـأمَّـا الـذي هـو حُبُّ الهـوى
فَشُغْلِي بـذكـركَ عَمَّنْ سِـواكـا)

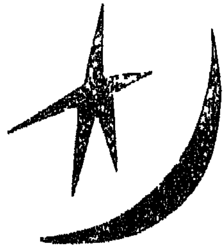
---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم.
(٢) الأبيات الأربعة الواقعة بين الأقواس من شعر السيدة رابعة.

(وأمــا الــذي أنت أهــلٌ لــه
فَكَشْفُـكَ لي الحُجْبَ حتى أراكـا)
(فــلا الحمـدُ في ذا ولا ذاك لي
ولكنْ لـك الحمـدُ في ذا وذاكـا)

* * *

واشتــاقُ شـوقين: شَــوْقَ النَّــوى
وشــوقاً لِقُـرْب الخُطَى مِنْ حمـاكـا
فــأمَّـا الــذي هـو شَــوْقُ النَّــوى
فَمَسْرىَ الـدُّمـوعِ لـطولِ نــواكـا
وأمَّــا اشتيــاقـي لِقُــرْبِ الـحِمـى
فنــارُ حيــاةٍ خَبَتْ فـي ضيــاكـا
ولستُ على الشَّجْـوِ أشكو الهـوى
رَضِيتُ بمـا شئتَ لي في هـواكـا



تعلَّمتُ معنى أن تسيـرَ بمشعـلٍ
يشـقُّ غُبـارَ الليـلِ مـعتـمُ
فيهدي حيارى طال في الدَّرْب سَيْرُهُمْ
وباتُوا على سَفْـح الأماني وخَيَّمُوا

كنتُ مُعَلّماً

ألقيت في الحفل الذي أقامته نقابة المهن التعليمية يوم السبت الأول من أكتوبر ١٩٧٦ لتكريم الشاعر باعتباره واحداً من الروّاد الأوائل الذين كرمتهم الدولة في هذا اليوم.. يوم المعلم.

ترنَّمَ حاديهم فهل فيك مُنعمٌ؟
وأقدمَ ناديهم فهل أنت مُقدمُ
ألستَ ترى أعلامهم كعلومهم
مصابيحَ من نور الهداية تُنْظَمُ
تحفُّ بها الأضواءُ من كل جانبٍ
ألستَ ترى. أم أنت غافٍ مُهوِّمُ

فقلتُ: أرى. والعينُ توهم مَنْ يرى
ذكـاءَ فَـدَعْـنِي إنني أتـوهَّـمُ
مواكبُ في طهر الملائك أغربتْ
معـالمُها عني فسـاءلتُ عنهمـو
لمن هـذه الأعلامُ تَخفُقُ بـالسَّنا
ومـا ذلك الحشـدُ الكبيرُ المكـرَّمُ
سألتُ. فقالوا: يا لَكَ اللّهُ. هذه
مـشـاعـلُ يـوم للمـعلم يُـرْسَـمُ
وتلك الحُفُـولُ الـزَّاحفـاتُ مـواكبا
هي الحشدُ. وهي المجدُ. وهي المعلِّمُ
فقلتُ خـذوني حادياً في ركـابهم
فإني - وان باعَدْتُ - يا قـوم منهمو
خـذوني أغنيهـم وأنثـر عـنـدهم
خـواطـر مَنْسِـيٍّ يَحِـنُّ إليـهمـو
ويـذكرُ أيام الشبـاب الـذي مضى
فـيـأسىَ عـلى أيـامـه ويُـرَحِّـمُ
ويـذكـر أحـلاماً قـطعنـا طـريقها
على الشـوك لا نشكـو ولا نَتَبَـرَّمُ
ونشـربُهـا رَنْقـاً. ونـرضى بشـربِها
وتَحْلو لـنـا أيـامُنـا وهـي علقـمُ

وَنَسْقي غِـراسَ الجيلِ ذَوْبَ قلوبنـا
ونَجْنِيـهِ حبـاً طيِّبَ النَّشْـر يَفْغَـمُ
ومـا زال عنـدي ذكـريـاتٌ عـزيـزةٌ
عَـزَازَةَ مَنْ عـانَـوْا ولم يتـألَّمـوا
كراريسُ يُفْني الليلَ تصحيحُ بعضِها
ودفـتـرُ تحـضيـرٍ يُبِيـنُ ويُعْـجِـمُ
وما زال في سمعي صدى جرسٍ لهم
يـدقُّ فَيُبْـدِي. أو يـدقُّ فـيختـمُ
إذا مـا دعـا للدرس بـاكَـرَ فتيـةٌ
كـأفْـراخ طيـرٍ حـول وِرْدٍ تُحَـوِّمُ
فـإن لمحوني داخـلاً صاحَ صـائحٌ
قياماً. . فقاموا. واستقاموا. وعظَّمُوا
وتـلك لَعَـمْـرُ الأريحـيـةِ لمحـةٌ
من الصدق والعرفانِ تُـوحي وتُلْهِمُ

* * *

وأشهـدُ أني قـد تعلَّمتُ منهمـو
لقـد كنتُ أيضـاً منهـمـو أتعـلَّمُ
تعلَّمْتُ معنى أن يُضَحِّي بنفسِـهِ
شهيـدٌ لِيَبْـقَى لـلصبـاحِ التَّبَسُّمُ

تعلَّمتُ معنى أن يعيشَ لغيرِهِ
دَؤُوبٌ لِيُغْنِي غيرَهُ وهو مُعْدِمُ
تعلَّمتُ معنى أن تسيرَ بمشعلٍ
يشقُّ غبارَ الليل والدربُ مُعْتِمُ
فَيَهْدِي حيارى طالَ في الدربِ سَيْرُهُمْ
وباتُوا على سَفْحِ الأماني وخَيَّمُوا
ويفتح آفاقَ الحياةِ رحيبةً
ويدعو إليها مَنْ أشاحوا وأحجموا
وأدركتُ أن المرءَ حيثُ نصابُهُ
من العملِ الباقي أَتَمُّ وأَحْكَمُ
وأُقسم إني ما عرفتُ حقيقتي
ولا كنتُ إلاَّ حين كنتُ أعلِّمُ
كذلك يعلو بالمعلم قَدْرُهُ
ويكبرُ في عين الزمان ويعظُمُ
ويسمو على آلامه بين معشرٍ
يكدُّ ليرتاحوا ويشقى لينعموا
هو الرائد السَّاقي يوزِّعُ نفسَهُ
على أنفسٍ عطشى ويُعْطِي ويَقْسِمُ
ولم أَرَ في المُعْطِين مِثْلَ عطائِهِ
فذلك أَبْقَى من جَداهم وأَقْوَمُ

اذا كان مَنْ يُعطي مِنَ المال كِرْمَةً
فإنَّ الذي يُعطي مِنَ النفسِ أكرمُ
وإن كان مَنْ يَبْني العمائرَ مُعْظَماً
فإن الذي يَبْني النفوسَ لأَعْظَمُ
وما زالتِ الدنيا بخيرٍ إذا دَنا
جَناها لِمَنْ شَقُّوا ثراها وأولموا
وما زالت الدنيا بخيرٍ اذا وَفَى
بَنُوها لمن ذادوا ورادوا وقوموا
سلامٌ على يومِ المعلمِ إنه
وثيقةُ حبٍّ.. والسلامُ عليكمو

يا ليالِيَّ بالحسينِ أعيدي بسمةَ الدهرِ واخطري مِنْ جديدِ
نحنِ في شاطىء الحياةِ حيارى قد أقمنا على ضفافِ الوجودِ

على ضفاف الوجود

شَاعرٌ غريبٌ

رائدُ الليل خَلْفَ وَهْمٍ بعيدِ
وخيالٍ من الأماني عنيدِ
وغـريبٌ يرى الصباحَ غـريباً في حيـاة كَلَيْلِهِ المَعْقُـودِ
وَلْوَلَ القيدُ في يديه وصاحت في شرايينه دماءُ الشهيـدِ
قلمٌ كان بسمةً في فَمِ الدنيا فمـاتت على فَمِ الفِرِّيـدِ
أَقْفَرتْ روحُهُ وغاضَتْ معانيه وأَمْسى على الثَّرى فَضْلَ عُودِ
وبقـايا حشـاشةٍ تتلوَّى تحت حَـرِّ الجوى وبَـرْدِ الوعـودِ
جَفَّ حتى أنكرتُهُ وهو مني شَبَحُ الأُمّ من خيالِ الـوليدِ
آهِ من آهـةٍ بقلب شريدٍ ضلَّ في ذلـك المَتاهِ الشَّـرِيدِ
نحن في عالم جُماداهُ أنا قد نَسِينـا به معـانِي الوجـودِ
أتكـونُ القبـورُ أضيقَ أم تلك الفيـافي لسـاهدٍ يَـرْقُـودِ

وارتقابُ الجحيم أم ذلك الـرُّعب بجوٍ مُسَمَّمٍ محـدودِ
وعُواءُ الضِّياعِ بالليل أم جَرْسُ الأفاعي مُصَلْصِلاً من بعيدِ
وجمـاهيرُ من عقـاربَ زُغْنٍ شـائـلاتٍ أذنـابَهـا كـالبُنُـودِ
تَلْسُبُ الحيَّ والجمادَ كما استلهمَ أعمى عصاهُ فوق الصَّعيد

* * *

كـلَّ يوم لنـا فنونُ دفـاعٍ في نزاعٍ على البقـاءِ الكسيدِ
تَتَبـارَى مع الـطبيعةِ والأوهـام والخوف والـدجى والبيـدِ
ظلمـاتٌ يَجْثُمْن خَلْف دياجٍ ورعـودٌ يَجْأَرْنَ إثْـرَ رعـودِ
أين حربُ الأعصاب من هذه الحرب تلظَّتْ في ليلها الموعودِ
أعُواءُ المدافع الشُّكُسِ أم زَأْرُ غضوب على الربى شُحْدُودِ
يـوقظُ الليل كلَّه ويكـادُ الفجرُ ينشقُّ خيفـةً في النُّجـود
وسِمامُ الغازات أم ذلك الصِّلُّ بقرنيه لابداً في الحَرِيد
آهِ من أهـةٍ بقلب شريـدٍ ضلَّ في ذلـك المَتَاهِ الشـريدِ

* * *

مَنْ أباحَ الشَّذا وكان حراماً. وحشةُ الروض أم بكاءُ الورود
والذي أسلمَ العنادلَ للذلّ هـواها أم كبـرياءُ النشيـدِ . .
لهفَ نفسي على ورودِ القوافي . يذبلُ الوردُ في القفار ويُودِي
خطراتٌ يَلْمَعْنَ في ذلك القفرِ كماءٍ في الصخرة الصَّيْخُودِ
حَرَّ قلبي عليكِ يا مصر. يا مهبط وحيي ويا مَرادَ قصيدي

يا ليالِيَّ بالحسين أعيدي بسمةَ الدهر واخطري من جديدِ
قد بكى النايُ في يد العازف النائي وأَنَّتْ أوتارُهُ من بعيدِ
نحن في شاطىء الحياة حيارى قد أقمنا على ضفاف الوجود

كذلك جيشـك في غرمـه   دمـاء حلال وأرض حـرام
سلامٌ على الجيش في يومِهِ   وفي كـلّ يوم عليـه سلامْ

نشيدُ الجيش(١)

مجدٌ في يومِه المُرْتَقَبْ وأشرقَ في عيدِهِ ما غَرَبْ
فقُمْ حيِّ جيشَكَ جيشَ العَرَبْ
حَـمِـيَّ الـذِّمـامْ وجـيشَ الـسـلامْ
سـلامٌ سـلامٌ سـلامْ

* * *

مِنْ مجدِنا الغابرِ وصُغْناهُ مِنْ دمِنا الثائرْ
أعَزَّ من الروحِ والناظرِ
ثورتِنا الظّافِرَهْ وقوَّةُ قوتِها القاهِرَهْ
ويَأوِي السلامُ إلى ظِلِّهِ

يقى وألحان رياض السنباطي، وغناء أم كلثوم

فيحمي السلامَ ويرعى الذّمامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يومٍ عليهِ سلامْ

* * *

مشى المجدُ في يومه المرتقب
تُعَطِّرُ واديكَ أمجادُهُ وتخطُرُ باليُمنِ أعيادُهْ
وتَحْمي العروبَة أجنادُهُ
اذا جَرَّدَ السيفَ مَنْ جرَّدا أَدارُوا عليه كؤوس الرَّدَى
وَرَدُّوهُ يعثرُ في ظُلْمِهِ
وقد لَبِسَ الصبحُ وَجْهَ الظلامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يومٍ عليه سلامْ

* * *

مشى المجد في يومه المرتقب

* * *

سَلُوا عَيْنَ جالوتَ عن أَمْسِهِ سلوا أرضَ سيناءَ عن بأسِهِ
إذا صَرَّحَ الهَوْلُ عن نفسِهِ
وكبَّر للموت مَنْ كَبَّرا ونادَى إلى الله أُسْدَ الشَّرى
كذلك جيشُكَ في عَزْمِهِ

دماءٌ حلالٌ وأرضٌ حرامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يوم عليه سلامْ

كأني حين أَنْفُثُها دخاناً
وأُغْرِقُ في سحابتها سحابي
أُحيلُ قليلَ أيامي بَخُوراً
وأَعْقِدُهُ على هذا الضَّبابِ

سيجارَتي

مُـعَـلَّلَةٌ كـأنَّ الـنـارَ فـيـهـا
دبيبُ اليـأس يصرخُ في إهـابي
وأحسبُ أنـني أشعلتُ فيهـا
بـقـايـا مهجتي دُون الـثّـقـاب
تُخَـدِّرُ مِنْ هُـمُـومـك وهي هَـمٌّ
وتُـورِدُك المعـاطبَ كـالـرِّغـابِ
وتُـنْسِيـكَ الـليـالـي وهـي ذكـرٌ
من النسيـانِ مُـلتـطمُ العُبـاب
كـأني حين أنْـفُثُـهـا دخـانـاً
وأُغْـرِقُ في سحـابتهـا سحـابي
أُحيـلُ قليـلَ أيـامـي بَخُـوراً
وأعْـقِـدُهُ على هـذا الـضَّبـابِ

وأشعـرُ حيـن تَخْبُـو أن نفسي
شعـاعٌ في يـد الأقـدار خـابـي
* * *
مُصـاحبتي وأنـتِ حُـطام نفسي
متى كـان العـدوُّ من الصحـابِ
إذا ارْفَضَّ النـديُّ وبِتُّ وحـدي
وطـال الليـلُ بي وخـلا وِطـابي
هـربتُ لهـا على عِلْمِي بـأني
أَفِـرُّ من العـذابِ إلـى العـذابِ

عَهْدُهُ الوَثيقْ واحةُ النجاهْ
أوَّلُ الطريقْ هو منتهاهْ

عَروسُ السَّماء(١)

أوقـدوا الـشـموسْ أُنْـقُـروا الـدُّفـوفْ
مـوكـبُ الـعـروسْ فـي الـسَّـمـا يـطوفْ
والمُنَى قُطوُفْ
أُنقروا الدفوف

* * *

الـرِّضـا والـنُّـور والـصَّـبـايـا الـحُـوزْ
والهوى يَدُورْ
آنَ لـلغـريـبْ أن يـرى حـمـاهْ
يـومُـهُ الـقـريـبْ شـاطـئُ الـحـيـاهْ

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي وغناء أم كلثوم

والمُنَى قُطوُفْ
فِي السَّما تطوُفْ
أُنْقُروا الدُّفُوفْ

* * *

يا حبيبَ الرُّوحْ تائهٌ مجروحْ
كلّه جروحْ
لائذٌ بالبابْ شوقُهُ دعاه
والرضا رِحابْ يشملُ العُفاهْ
والمُنى قطوف
في السَّما تطوف
أُنْقُروا الدفوف

* * *

طافَ بالسلامْ طائِفُ السلامْ
يُوقظُ النِّيامْ
عهدُهُ الوثيقْ واحةُ النَّجاهْ
أوَّلُ الطريقْ هو مُنْتَهاهْ
والمُنى قطوف
في السَّما تطوف
أنقروا الدفوف

* * *

إذا كـان قولُ الحقّ جَهْـدَ دُعـاتِـهِ
فَفِعْلُكَـهُ لا شـكّ أَحْـرى وأَجْهَـدُ
وليس الـذي يحيـا الـزمـانُ بفعلِهِ
كمثـل الذي يحيـا وليس لـه غَـدُ

كلمةُ وَفاء

ألقيت في الحفل الذي أقيم بدار الأوبرا عام ١٩٤٦ تكريماً للصديق الراحل أبي الشعراء إبراهيم دسوقي أباظة

على أَيِّ فـرعٍ من معانيـك أُنشـدُ
لقـد حَنَّ للشَّـدْو الهتـوفُ المغـردُ
وطـابَ لـه لحنٌ جـديـد سقى بـه
نـدامى معـان فيـك تـدنــو وتبعـدُ
صحا الشعرُ في محرابِها هَمْسَ نغمةٍ
تـظلُّ بنفس السَّـامعـيهـا تَــرَدَّدُ
بَدَتْ في كهوفِ النفس معنىً مُخَلَّقاً
لـه في كهـوف النفس نـارٌ ومعبـدُ

تَطِيف شواديه كأحلامِ شاعرٍ
له في ضفاف الفنّ مَغْنىً ومعهدُ
سعى لك منغومَ اليراعةِ شادياً
يُرَتِّلُ ألحانَ الوفاء وينشدُ
ألستَ الذي أَنْبَتَّهُ وسقيتَهُ
فها أنت تجني ما زرعتَ وتحصدُ
من الأدبِ المطبوع صُغْتَ منونَهُ
ورُحْتَ تزكّيهِ وتُوحي وترشدُ
فسارَ يجوبُ الدهرَ تَسْقِي لحونُهُ
مَلاحِنَ مَنْ غَنَّوْا به ثم ألحدوا
فأيّ أياديك الكريمة إنها
لكلّ معانيه الكريمةِ موردُ
وأيّ معانيك الرفيعة إنها
لآفاقه العليا سبيلٌ ومقصدُ

* * *

تزاحمت الأضواءُ حول خواطري
وترجمها حبٌّ قديمٌ مُجَدَّدُ
ألستَ الفتى تُرْجَى يداه. وَيُتَّقى
كما يُتَّقى السَّيْبُ الهَتُونُ ويُقْصَدُ

وبيتُـكَ فيـه للفنـون مَثـابـةٌ
فكـلُّ أديبٍ في حمـاك مُحَسَّـدُ
ومَنْ لـكَ بالبيتِ الـذى هـو كعبـةٌ
يُصَلِّي بهـا شعـرٌ، وعلمٌ، ومحتـدُ
دسوقي وإلّا مَنْ؟ وكيف اذا انبرتْ
لمصـر الليـالي والحـوادثُ تُـرْعِـدُ
لـه غضبـةُ الأحـرار تَنْضَـحُ عـزةً
إذا زايـلَ الأغـرارَ ذاك الـتـجـلُّدُ
وليس الـدسوقي واحـداً بين قومـه
ولـكـنـه جـيشٌ ورأيٌ مـؤيَّـدُ
وإنَّ شجـاعـاً من يـشقُّ بـرأيـه
طريقاً على شـوك الخصومـة يُمْهَدُ
ومَنْ كـان لا يـرضى ببسط يمينِـهِ
ولـو كـان فيهـا جمـرةٌ تتـوقَّـدُ
كـذلـك إبـراهيمُ رأيـاً مـجـرَّداً
وأشرفُ ما في النفس رأيٌ مجـرَّدُ
مِنَ الصِّيدِ شَبَّ المجدُ حول بيوتهم
فكـلُّ فتى قَـدُّ المجـادةِ أَصْيَـدُ
مسـاميحُ وضَّـاحُونَ. للنُّبْـلِ منهمو
بكـلِّ سمـاءٍ في الكنـانـة فَـرْقَـدُ

وشَتّانَ بين المجدِ طبعٌ ومحتدٌ
أصيلٌ وبين المجدِ شيءٌ مُقَلَّدُ

* * *

على أيّ فرعٍ من معانيك أُنشدُ
وفي أيّ بيتٍ من مزاياك أَخْلُدُ
وفيكَ لمنهومِ الخيال عوالمٌ
من الواقع الملموس أقوى وأبعدُ
وتاريخُك الموصولُ تاريخ نهضةٍ
يُسجِّلُها جيلٌ من العزمِ أَيِّدُ
تُصاوِلُ بالرأي الخصومَ وربما
أصابَ الحجا ما لم يُصِبْه المهنَّدُ
بلاءُ الجهادِ المُرِّ في زحمة الدُّجى
وفي الناس أصنامٌ تَضِلُّ وتُعْبَدُ
إذا كان قولُ الحقّ جَهْدَ دعاتِهِ
فَفِعْلُكَهُ لا شكَّ أحْرى وأَجْهَدُ
وإنَّ صلاحَ الحكم تفسدهُ يَدٌ
كما أن سوء الحكمِ تُصلحه يَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعلِهِ
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

وما كنتَ تـزهـو أن تنـالـكَ رتبةٌ
وأنت عن الألقـابِ تَغْنَى وتَـزْهَـدُ
وفي الناس مَنْ تعلو المناصبُ باسمِهِ
وفي الناس مَنْ يعلُو عليها ويصعدُ

نحن في عالمٍ تَحَيَّفَهُ الشكّ وضلّ الصواب فيه الصوابا
أمةٌ تنشدُ السلامَ فما بال حمام السلام أمسى غرابا

ألحانٌ ثائِرةٌ

مهداة للصديق المناضل القديم محمود فهمي النقراشي عندما طار إلى نيويورك عام ١٩٤٧ ليخاصم الاحتلال البريطاني إلى مجلس الأمن ويقول للانجليز أخرجوا من بلادنا

أَلْقِ عن وجهِها الغضوبِ النِّقابا
لا تُخاصِمْ إلى الذئابِ الذئابا.
أَمِرَ الأَمْرُ فادِّرِعْهم شيوخاً عاقَرُوا الصبرَ وادَّرِعْهُم شبابا
وأَدِرْ لَحْنَكَ الذي أيقظَ الثورةَ وَاخْمُرْ في صَهْدِهِ الأعصابا
نحن في عالمٍ تَحَيَّفَهُ الشكُّ وضلّ الصوابُ فيه الصوابا
أمةٌ تنشدُ السلامَ فما بالُ حمامِ السلام أَمْسى غرابا..
أيُّ أمشولةٍ أصمَّ بها الداعي وإنْ هاجَ ثائرين غِضابا

معبدٌ صوَّرَ العدالةَ في الأرض إلهاً والأَمْنَ فيها نصابا
ما لرهبانِهِ العجائزِ كانوا أوَّلَ الملحدين لَمَّا أهابا
ما لألحانِهِ الجميلةِ باتت فوق اطلالِه بُكاً ونُعابا
إنما نحن أمةٌ تَعْلِكُ الحِقْدَ فما بالُنا نَعافُ اللُّهابا
واذا الحقُّ لم يصادِفْ سميعاً. أوشك الحقُّ أَنْ يَحوُلَ احْتِرابا

* * *

ليس في شِرْعِة الطواغيتِ غَيْرُ النارِ رَباً وغيرُها محرابا
والذي يطلبُ الحياةَ سلاماً كالذي يطلبُ الحياةَ سَرابا
ذلَّ مَنْ يركبُ الرَّجاء وفي كفيه ظُفْرٌ يذودُ.. ذَلَّ رخابا

لا تختصمْ يوماً إلى حَكَمٍ   غيرِ الظّبا واضربْ كما ضربُوا
أضربْ بغيرِ الهـاتفين فقدْ   أَوْدَى بقومي الفِقْهُ والخُطَبُ

إضرُبْ بغيرِ الهاتفين

في استقبال قواتنا التي كانت محاصرة بالفالوجه في حرب ١٩٤٨

ضَجَّ الحديدُ وأَعْوَلَ اللّهبُ ... وتنفَّستْ في نارها النُّـوَبُ
واستعصمَ الأبطالُ ما تعبتْ ... يـوماً عـزائمُهم ومـا تَعِبُـوا
في موقفٍ جُنَّ اللُّهابُ به ... وتـراشقتْ بأوارِهـا الشُّهُبُ
والمـوتُ أيسرُ مـا يكابـدهُ ... مَنْ كابدوا الأهوالَ واغتربوا
صبرٌ. ولو كان اللظى صبروا ... ضربٌ. ولو كان الرَّدَى ضربوا
الجائِعُونَ من العِـدا أكلوا ... الظامئون من الدِّما شـربوا
والـراكبـون لكـل راعِبَـةٍ ... هـوجاءَ يحجمُ عندها الرَّهَبُ
في كلِّ يوم كان يَفْجَؤُهُمْ ... يـومٌ كيوم الحشـر مُرْتَهَبُ
فـالجو نـارٌ، والثَّرى جُثَثٌ ... والرُّعب في الأخلادِ يضطربُ

صبروا وصوتُ النارِ حشرجةٌ   واستبسلوا والموتُ يقتربُ
في موقفٍ ضَنْكٍ تفورُ به   أهوالُها والموت ينسربُ
وكأنهم بحرٌ يموجُ لظى   وكأنما أعداؤهم حَبَبُ

* * *

وعلى الأسَاوِدِ أسودٌ لَجِبٌ   هو وحده جيشٌ بها لَجِبُ
حاقَتْ به البلوى فقال لها   فَوْزُ الكماةِ الغُلْبِ يُغْتَصَبُ
إني أنا (الضَّبع) الذي عرفوا   والضيغمُ العادِي الذي رهبوا
قالوا الحصارُ فقلت لو عرفوا   عُقْباهُ لم يُمْهِلْهُمُو الهَرَبُ
لرجاليَ الأبطالِ ما جمعوا   ولنارِيَ الحمراءِ ما جلبوا
لم تُبْنَ أحجاراً معاقلُنا   أحجارُهُنَّ الصبرُ والغَلَبُ
واستمطر الموتَ الزؤامَ على   هاماتهم فكأنه سُحُبُ
وصحتْ بمصر مجادةٌ سَلَفَتْ   وزها حماها الكبر والعَجَبُ
فكأن كل قذيفةٍ مَرَقَتْ   بلدٌ يقومُ وأمةٌ تَثِبُ

* * *

لم أنسَ عودته وقد حُشدت   عصبٌ تضجُّ وراءها عُصَبُ
يستقبلون أشمَّ ما شهدتْ   نِدًّا له الأجيالُ والحِقَبُ
نثروا عليه الوردَ ما عرفوا   كم شوكةٍ بدماه تختضبُ
أفضى اليه بسره الرَّهَبُ   واقْتَاتَ مِنْ عزماتِهِ اللَّهَبُ
واستلهمَ التاريخُ وَثْبَتَهُ   والحرُّ إن خَاشَنْتَهُ يَثِبُ
ياهَوْلَهَا حرباً يمدُّ لها   ظلمُ العبيد البيضِ والكذبُ

كانت حديداً كالحاً ولظىً		واليوم يعلنُ حربَهُ الذهبُ
لا تختصمْ يوماً إلى حَكَمٍ		غيرِ الظُّبا واضربْ كما ضربوا
إضربْ بغيرِ الهـاتفين فقد		أَوْدَى بقومي الفقهُ والخُطَبُ
ليس الجهـادُ لِطامَ نـائحةٍ		إن الجهادَ الحَرْبُ والحَرَبُ

* * *

يا ماردَ الجيش الذي انْبَعَثَتْ		وصَحَتْ على صرخاتِهِ العربُ
يا قصةَ النيـلِ التي كتبتْ		أسْـطارَهـا الآلامُ والنُّـوَبُ
جُـرْحُ الكنانـةِ بيننـا رَحِمٌ		والثَّأْرُ بين طِـلابِــهِ نَسَبُ

بُكائِيّاتٌ

أيُّهذا النديمُ أفْرِغْ كاسي قد تولّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلأَءَ العُمْرُ يا نديمُ فَدَعْني لا تكنْ قاسياً كبعض الناسِ

وَرَاءَ الرّاحلين

قلتُ للكاس والليالي غَرِيمي، أين يا كاسُ كَرْمتي ونعيمي
جمعَ الليلُ شاربيها فما لي لا أرى بين شاربيها نديمي
فأجابتْ مَنِ احْتَكَمْ
لليالي فقد حَكَمْ

* * *

والليالي تسيرُ خَلْفَ الليالي حـاملاتٍ حقـائبَ الآجـالِ
نائمُ القلبِ غافلٌ لا يراها أو يـراهـا لكنـه لا يبـالي
آه لو يفهمُ الألَمْ
آه لو يعرفُ النَّدَمْ
أيُّهـذا النديمُ أَفْـرِغْ كاسي قد تولّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلأَ العُمْرُ يا نديمُ فَدَعْني لا تكنْ قاسياً كبعض الناسِ

إنني أسمعُ العَدَمْ
وأرى الناسَ في صَمَمْ

* * *

في رنينِ الكؤوس حارت عقولُ فهي في لحظةِ اللقاءِ تقولُ
هكـذا عيشُنا، لقـاءٌ قليـلُ وفراقٌ مِنْ بعد ذاك يطولُ
النهاياتُ لم تَنَمْ
والبداياتُ مُخْتَتَمْ

ولو كان جُرْح الجسمِ هانَ احتمالُهُ
ولكنــه جــرحٌ تــكـابــدُهُ النـفسُ
فـوارحمتـا للقلب كيف اصــطبـارُهُ
وآهٍ على عهــدٍ تـولّى بــه الأمْسُ

رُوَيْدَكِ يا عَيْني

أقولُ وقد ضـاقتْ بحاجتِهـا النفسُ
رُوَيْدَكِ يا عيني فقد فاضتِ الكأسُ
رأيتُ الليـــالي آسياتٍ جــوارحـــاً
فمـــا لِلّيـالينــا تُصيبُ ولا تـأسُـــو
ولو كان جرح الجسمِ هانَ احتمالُهُ
ولكنــه جــرحٌ تـكــابــدُهُ النـفسُ
فـوارحمتـا للقلب كيف اصـــطبـارُهُ
وآهٍ على عهــدٍ تــولّى بــه الأمْسُ
وآهٍ على مَنْ لا يـرانـي ولا أرى
سـواه. ومَنْ يحنو عليَّ ولا يَقْسُـو
لقد حال صَفْـوُ العيش بعد رحيلِهِ
وأصبحتُ وحدي لا أنيسٌ ولا أُنْسُ

وإنَّ جِـدارَ الصَّمْتِ بيني وبينـه
لشيءٌ رهيبٌ لا يُحيطُ بـه حَـدْسُ
وإنّ سِتـارَ المـوتِ دُوني ودُونَـهُ
لَكَـاللَّيْلِ إذ يَغْشَى جوانِبَـهُ اليَـأْسُ
فيـا ليتَ أَنَّ اللهَ حين قضى بمـا
قضـاه طواني فـاحتوانـا معـاً رَمْسُ

ربوعٌ بها ألقى الربيعُ رحالَهُ
وطابَ له فيها ضحىً وأصيلُ
تُحِسُّ كأنَّ الظلّ فيهنّ نسمةٌ
وكلُّ نسيمٍ فوقهنَّ ظليلُ

حَنِينٌ

ألا هـل لـوادي الـرّاحلين سبيـلُ
أليس لِلَيْـلِ الحـائـرين دليـلُ
تناءتْ بنا الدنيا وحالتْ عهودُها
ومـا كـان ظنّي أنهـا ستحـولُ
صبـايَ. وأيـامي. ديـارُ أحبتـي
وإني إلى تلك الـديـار أميـلُ
فكـلُّ مكـان غيـرِهـا دارُ غـربةٍ
وكـلُّ زمـانٍ بعـدهـنَّ فضـولُ
ربـوعٌ بهـا ألْقى الـربيعُ رحـالَـهُ
وطـابَ لـه فيهـا ضُحىً وأصيلُ
تُحِسُّ كـأنَّ الـظلَّ فيهنَّ نسمـةٌ
وكـلَّ نسيمٍ فـوقهـنَّ ظليـلُ

أَحِنُّ لــوادي الــراحلين ومَنْ بِــهِ
وقلبي بــوادي الــراحـلين عـليــلُ
يُــطالعني والليــلُ يـمتــدُّ بينـنــا
فـأَشْجَى وليـلُ الحـائـرين طـويـلُ
تـركتُ به أحلامَ قلبي.. تـركتُهـا
وبي من جَـواها حيــرةٌ وذهــولُ
متى تجمـعُ الأيامُ شَمْلِي وشملَهُمْ
ويسكت داعٍ في الضُّلوع يـقــولُ
أَلاَ هل لوادي الراحلين سبيلُ

لقد كنتِ ظِلاًّ أَفِيءُ إليهِ
وأَهْرُبُ مِنْ يومِيَ المُرْهِقِ
وكنتِ قصيدا جديدَ الرُّؤَى
شجياً معانيه لم تُطْرَقِ

دُمُوعٌ لا تَجفّ

إلى روح زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها

أتى العيدُ (نازلي) ولم نلتقِ
وغامتْ سمائي فلم تُشرقي
أتى العيدُ يطرقُ بابي فما
أجابَ سوى دمعيَ المُهْرَقِ
اعيدٌ وأنتِ بعيدٌ هناكَ
تُقيمين تحتَ الثّرى المُطْبِقِ
وكيف وقد شاهَ وَجْهُ الحياةِ
بعيني وباتَتْ بلا رونقِ

أعيدٌ يُلِمُّ بنا ساقياً
بكأسِ المسَرَّةِ مَنْ يستقِي
وكيفَ وقد أوحش البيتُ منك
وأَقْفَرَ مِنْ أُنْسِهِ المشرقِ

* * *

لقد كنتِ ظلا أفيءُ إليه
وأَهْرُبُ من يوميَ المُرْهِقِ
وقد كنتِ أمناً لروحيَ مِمَّا
أخافُ أذاهُ وما أتَّقى
وقد كنتِ قلباً كبير المُنى
لغير المحبةِ لم يُخْلَقِ
وقد كنتِ روضاً. تُخْايِلُ عيني
مَخَيِلُ مِنْ حُسْنِهِ الرَّيِّقِ
وكنتِ هَتُوفاً تُناغِمُ سمعي
بلحنٍ من الخُلْدِ لم يُسْبَقِ
وكنتِ قصيداً جديد الرُّؤَى
شَجِياً معانيه لم تُطْرَقِ
وكنتِ وكنتِ وكانت لنا
عوالمُ مِنْ روحِكِ المُغْدِقِ

مضى كـلُّ هـذا ولـم يَبْـقَ لـي
سـوى ذكـريـاتِ الأسى المُـوبِقِ
فيهـا لـهفَ نفسـيَ مـاذا مضى
ويـا لـهـفَ نـفـسـيَ مـاذا بَـقِـي

أبكي على أيامنا القِصارْ
وأنتِ يا حُزْني غريبةُ الديارْ
بعيدةٌ بالرغمِ من قُرْبِ المَزَارْ

دُمُوعٌ لا تجف

٢

لا يَقَرُّ لي قَرارْ
زْني غريبةُ الديارْ
ـم مِنْ قُرب المزارْ
يَ لا أراكْ
أرى سواكْ
ـنيا كما نختارْ
ـنا جَنًى يُشْتَارْ
ـعْطار
لأطيارْ
زهارْ
جَرى لنا

وكيف مالتِ الليالي بنا
فبدَّلَتْ أحوالَنا
وبَدَّدَتْ أحلامَنا
وصيَّرَتْني دائمَ الأُوارْ
في ليلةٍ ليس لها نَهارْ
أبكي على أيامنا القِصارْ
وأنتِ يا حُزْني غريبةُ الدِيارْ
بعيدةً بالرغم مِنْ قرب المَزارْ

* * *

يا نسمةَ الفَجْرِ التي نَشَقْتُها
يا جنَّة الحبّ التي غرستُها
يا نعمةَ اللهِ التي فقدتُها
ورحتُ بعدها أُعاتبُ الزمانْ
ولا عتابَ للزمانْ
فهذه حكومةُ الأقدارْ
وليس لي في ذلك اختيارْ
ولا اصطبارْ
وأنت خَلْفَ هذه الأحجارْ
في عالم الأسرارْ
بعيدةً بالرغم مِنْ قُرْبِ المَزَارْ

وسألتُ عن سرِّ الحياةِ
وهالني أَني ضللتُ
وأَنني في تِيهِ
ونظرتُ للدنيا وما تَعْنِيهِ
وأزلتُ صِبْغَ خدودِها
فَتَكَشَّفَتْ عن منظرٍ تحتَ الصِّباغِ كريهِ

دَمْعَةُ وَفاء

مهداة إلى الصديق الراحل الأستاذ الشيخ محمد عمر.

ما كنتُ أحسبُ أنني أَرثيهِ
فرثيتُهُ
او أنني يومَ النّوى أبكيهِ
فبكيتُهُ
وذكرتُ أحلامَ الصّبا فذكرتُهُ
وذكرتُ أيامي غَداتَ لَقِيتُهُ
وأَلِفْتُهُ
أيامَ كانَ . .
وكنتُ فيما كُنْتُهُ

والمعهدُ الدينيّ في دمياطَ . .
محرابُ الأديبِ وبيتُهُ
ولجامعِ البحرِ العتيدِ مكانُهُ وزمانُهُ
إِذْ كان هذا وَقْتُهُ

* * *

في ذلك العهدِ العهيدِ عرفتُهُ
ووجدتُ نفسي فيه حين وجدتُهُ
وجلستُ منه مجلسَ التلميذِ من أستاذِهِ
وحَضَرْتُهُ
وسمعتُهُ
وسمعتُ عنه وقلتُ فيه وزُرْتُهُ
وشربتُ مِنْ رَاوُوقِهِ وسقيتُهُ
ما زال في سمعي يُجلجلُ صوتُهُ
ما زال في عيني بهاه وسَمْتُهُ
والشيخُ في الكشمير يلمعُ كالسَّنا
ويكادُ ينطقُ بالبشاشةِ صَمْتُهُ
والبسمةُ البيضاءُ تَغْسِلُ وَجْهَهُ
وتضيءُ في عَيْنيهِ
وتكادُ تُومِي بالودادِ إليهِ
وكانها رَدُّ السلامِ عليهِ

* * *

ولطالما عَبَثَ الشبابُ . .
وطالما عابَثْتُهُ
وعلى بساطِ اللّهْو كَمْ ساقَيْتُهُ
فلنا حديثٌ ضاحكٌ لا ينتهِي
لولا جلالُ الموتِ كنتُ ذكرتُهُ

* * *

وتَفَرَّقتْ سبلُ الحياةِ بنا
ونادَى كلَّ حَيٍّ قُوتُهُ
وتباعدتْ أيامُنا
وتركتُ عهدَ فُتُوَّتي
وتَرَكْتُهُ
وقطعتُ أسبابَ التَّرسُّل بيننا
حتى دعاني نَعْيُهُ فأجبتُهُ
وبكيتُهُ
وبكيتُ نفسي فيهِ
ورأيتُ ما فَعَلَ الرَّدَى بِبَنِيهِ
والموتُ يَنْقُض كلَّ ما نَبْنِيهِ
وسألتُ عن سِرِّ الحياةِ . .
وهالني أني ضَلَلْتُ وأنني في تِيهِ
ونظرتُ للدُّنيا وما تَعْنِيهِ

وأزَلْتُ صِبْغَ خُدُودها . .
فتكشفت عن منظرٍ تحت الصِّباغِ كِريهِ
بِخِداعِها تُخْفيهِ
وَاهاً عجوزَ النَّحْسِ . .
ماذا يَرْتَجِي منكِ العَدِيمُ
وما الذي يَجْنِيهِ

* * *

ولقد تناسيتُ المنونَ . .
فَرَدَّني للموتِ ناعٍ جاءني يَبْكِيهِ
أَوْدَى محمدُ وانطوَتْ أيامُنا
وأتيتُ أَنْشُرُ بعضَ ماتَطْوِيهِ
وأقولُ فيه شهادةً تُرْضِيهِ
ما مَبْلَغُ العِرْفانِ مِنْ تلميذِهِ . .
وصديقِهِ وأخيهِ
رحمَ الإلهُ محمداً
وجزاهُ عنا خَيْرَ ما يَجْزِيهِ
وأَثَابَنا فيهِ
وأَعْظَمَ أَجْرَهُ لِذَوِيهِ

شكر ودموع

إلى الشاعر الملحمي الاستاذ كامل أمين رداً على قصيدة تعزية.

جـدَّدْتَ آلاماً ذَهَبْن بسـائـري[1]
وأَعَـدْتَ لي أشجانَ أمسِ الـدَّابِـرِ
يـا مَـنْ يُكَـلِّفُـني مـراجبَ وُدِّهِ
مـاذا صنعتَ بعـالَمي وخـواطـري
واسَيْتَني فَنَكَـأْتَ جُـرحـاً غـائـراً
تَـعْتَـادُهُ أسبـابَ شجـرٍ غـائـر
وأنـا امـرؤٌ عَـرَفَ الكـآبـةَ شَيْبُهُ
ثمنـاً لسالفـةِ الشبـابِ البـاكـرِ

(١) سائر الشيء: بقيته

أيـامَ كنتُ وكـانت الـدنيـا على
عِـلَّاتهـا أفـراحَ شوقٍ غـامـرِ
والآن قـد بعـدتْ ديـارُ أحبتي
ونَـأى مازارُهُمُو لأقـربِ زائـرِ
تَهْتَاجُـنيِ الذكرى وتُشْجِيني النَّوى
وتنَالُ مِنْ صَبْـرِي فلستُ بصـابـرِ

المحتويات

الصفحة